

أنا وأنت على الطريق

معاملة سيئة في الصغر اكتئاب في الكبر

هل سمعت سيدتي بهذه المقولة؟ معاملة سيئة في الصغر اكتئاب في الكبر؟

يقول التقرير تحت هذا العنوان ما يلي: راجع باحثون بريطانيون بيانات ست وعشرين دراسة شملت ستة وعشرين ألف شخص ، تناولت الحالة النفسية لهم وتعرضهم للعنف ولسوء المعاملة في طفولتهم ، فاستخلصوا أن المعاملة السيئة في الصغر تعرّض الإنسان لاحتمال الإصابة بالاكتئاب بمعدل الضعف قياسا بالآخرين. وحدد الباحثون من معهد الطب النفسي في جامعة لندن خمسة عوامل تدل على سوء معاملة الأطفال. **أولاً:** الحزم المبالغ فيه من قبل أحد الوالدين، **وثانياً:** الرعاية المضطربة، **وثالثاً:** الإهمال من قبل الأم، **ورابعاً:** التعرّض للضرب، **وخامساً:** التعرّض للاعتداء الجنسي. ولفت الباحثون إلى أنّ تعرّض الطفل إلى عامل واحد فقط من هذه العوامل كفيلاً يجعل نفسيته تربة خصبة للإصابة بالاكتئاب عند الكبر، وأن إمكانية علاج هؤلاء عبر الجلسات النفسية والأدوية تتقلص بنسبة ٤٣% . وبحسب دراسة سابقة فإنّ تأثير المعاملة السيئة على الأطفال تؤثر أيضاً على التركيبة البيولوجية للأطفال، وتصيب أدمغتهم وهرموناتهم وجهاز المناعة بخلل. ويؤكد تقرير لمنظمة الصحة العالمية أنه مع حلول العام ٢٠٢٠ سيصبح الاكتئاب ثاني مسبب عالمي للأمراض لكل الفئات العمرية.

يا لها فعلا من توقعات مخيفة للمستقبل، لأن الاكتئاب سيصبح ثاني مسبب عالمي للأمراض لكل الفئات من الصغير إلى الكبير بحسب ما أكّده منظمة الصحة العالمية. وبغض النظر عن الأسباب سواء كانت المعاملة السيئة للأطفال منذ الصغر أو الإهمال ، فإن النتيجة واحدة وهي أن يصاب المرء بالاكتئاب فينزوي ويصبح غير نافع في المجتمع ويحتاج إلى علاج ليعود وينخرط من جديد هذا بالطبع يعتمد على كل حالة ومقدار تجاوب المرء مع العلاج.

تري، هل تحرصين سيدتي على أولادك، فلذة كبذك؟ هل تنتبهين كيف تربيهم وترعينهم، وتحافظين على نفسياتهم صحيحة بعيدة عن كل ما يمكن أن يؤثر على نموهم الطبيعي أو يؤثر على مشاعرهم وأحاسيسهم المرهفة ، وتفكيرهم العقلاني؟ سمعت مؤخراً خبراً عن موت مراهقة في عمر الرابعة عشرة بسبب تأديب والديها لها . فقدت المراهقة حياتها بسبب تعرضها لتأديب قاسٍ من قبل أمها وأبيها اللذين أنجباها. وعليه فلقد قامت السلطات المختصة بتوقيف الأهل وإحالتهم إلى المحاكمة. إنها جريمة بحق الفتاة الصغيرة أليست كذلك؟

ترى كيف يتعيّن على الأهلين أن يعاملوا أولادهم الذين هم عطية من عند الله تعالى؟ يعلمنا الكتاب المقدس الذي كتبه أناس الله مسوقين بالروح القدس ويقول بأنه ينبغي عليهم أن يباركوهم وأن يترأفوا عليهم، وأن يعولوهم وأن يدبرّوهم وأن يؤدّبوهم لكن عليهم ألا يغيظوهم أي يغيظوهم، وأن لا يسمحوا لهم بعلاقات غير مقدسة وأن لا يحابوا بينهم .

نعم يا سيدتي يخبرنا الكتاب المقدس بأنه ينبغي على كل أم وكل أب أن يباركوا أولادهم كمثال يعقوب حين بارك ابنه يوسف وأحفاده فقال: الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحق ، الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم ، الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما اسمي واسم أبوي إبراهيم وإسحق وليكثر كثيرا في الأرض. (تك ٤٨ : ١٥-١٦) والبركة تعني الدعاء بالخير للأولاد وببركة الله عليهم نفسا وروحا وجسدا. والآن حين تسمعين بركة والدتك عليك يا سيدتي ألا تشعرين عند ذاك بمحبتها وتقديرها ؟ بالتأكيد.

أوصى الرسول بولس أيضا بالألا نغيظ أولادنا إذ قال مسوقا بالروح القدس: وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وإنذاره. (أفسس ٦ : ٤) بمعنى أن لا نجعلهم مغتاطين وحاقدين علينا نحن الأمهات والآباء. بل نربيهم بالمحبة والحنان وبخوف الرب لأنها رأس الحكمة يا سيدتي. لأن الغيظ يولد مرارة في النفس مما يجعل الأولاد ينفرون أو ينزرون بعيدا وهم في بيت أهلهم . وهنا يحصل الخراب في نفوس هؤلاء الصغار ، وحين يشبون يصبحون معرضين أكثر من غيرهم للاكتئاب النفسي والشك بالآخرين وإلى ما هنالك من مشاكل نفسية تؤثر عليهم وتقضي على مستقبلهم ربما .

هل تعاملين أولادك بالرفقة والرفق والحنان والعطف ؟ وهل ترشدينهم وتوجهينهم إلى مصدر البركة ومصدر المحبة الله الخالق؟ ثم هل تخبرينهم عن محبة الله لهم شخصيا يا سيدتي؟ لقد قدم لنا الرب يسوع المسيح كلمة الله الأزلي مثلا بذلك إذ علم تلاميذه وقال لهم: "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات." قال لهم ذلك حين انتهروهم ولم يريدوا أن يأتي بهم ذووهم إلى معلمهم الرب يسوع المسيح. نعم لقد علم تلاميذه درسا في ذلك كيف يحترمون الصغار وكيف يهتمون بهم وبشؤونهم وبدعم رفضهم من المجيء إليه لأنه وحده مصدر الحياة والنور والحق. فهل تكسبين أولادك حتى لا يقعوا في فخ الاكتئاب النفسية والعقد التي لا تحل إلا بكلمة من الشافي الرب يسوع وحده؟